المحاضرة الأولى: الإشكالية

تمهيد:

يعتمد البحث العلمي في العلوم التربوية والنفسية مثل غيرها من العلوم، على منهجيات تهدف إلى تحسين وتوسيع المعرفة في مختلف المجالات التي تهتم هذه العلوم بدراستها.

ولتحقيق هذه الأهداف، يتعين على الباحث أن يكون قادرا على تحديد وصياغة إشكالية بحثه بدقة، تُعد صياغة إشكالية بحث جيدة مؤشرا على تمكن الباحث من موضوع بحثه، وقدرته على وضع خطة منهجية فعالة لتحقيق الأهداف العلمية المطلوبة، بما يتماشى مع المعايير العلمية والموضوعية المتعارف عليها.

تتناول هذه المحاضرة مفهوم الإشكالية في البحث العلمي من خلال تحليل مفهوم الإشكالية، وتوضيح أهميتها، واستعراض أسس ومصادر صياغتها، وكذلك الشروط والمعايير التي تساهم في صياغة إشكالية بحثية جيدة.

1. تعريف الإشكالية:

يرى بعض الباحثين أن استخدام مصطلح "الإشكالية" في البحث العلمي تطور بشكل ملحوظ في منتصف القرن العشرين، ويشير إلى عملية منهجية تهدف إلى تحديد وفهم المشاكل التي تتعلق بموضوع البحث.

وفقا لما ذكره الباحث *ديبونو* (2016)، فإن الإشكالية تعتبر عملية متعددة الأبعاد تتطلب من الباحث القدرة على تحديد ووصف المشكلة بوضوح، وتقديم حلول نظرية لها بناء على المعطيات المتاحة.

عرفت *ليفي-شتراوس* (2010)الإشكالية بأنها عملية فكرية تتضمن تحديد مجموعة من الأسئلة التي ترتبط بمشكلة البحث، وهي إطار يساعد في تنظيم الأفكار وتحليلها بشكل منطقي.

بينما يشير *كريستوفر* (2018)إلى أن الإشكالية هي "فن صياغة المشكلات العلمية بحيث يتمكن الباحث من تحديد التساؤلات الجوهرية المتعلقة ببحثه، والتفريق بينها وبين التساؤلات الفرعية الأقل أهمية"، وتكمن أهمية الإشكالية في قدرتها على توجيه الباحث نحو الأهداف الأساسية للبحث وتحديد الأسئلة التي يسعى للإجابة عليها.

أما *روجر* (2020)فقد اعتبر أن الإشكالية هي صياغة سؤال مركزي يتعلق بما يطرح مشكلة أو عقبة في الموضوع المراد معالجته، وتعتبر هذه الخطوة أساسية لأنها تتطلب من الباحث التفكير بعمق في مجال بحثه وتحديد الجوانب الأكثر إشكالية التي يجب أن يركز عليها.

وفقا لما ذكره *بيير* (2012)، فإن الإشكالية تشكل الإطار النظري للبحث الذي يرتكز عليه الباحث في تحليل مشكلة بحثه، وهي تتضمن تحديد الفروض الأساسية وخطوط التحليل التي ستوجه البحث نحو الإجابة عن التساؤلات المطروحة.

يمكن القول إن الإشكالية تشكل الأساس الفكري للبحث، إذ تقوم على قدرة الباحث على تجريد الأفكار وتحليلها، وربطها بشكل منطقي، والانتقال من العموميات إلى

الخصوصيات، ويعتمد نجاح صياغة الإشكالية على المهارات التحليلية والتفكير النقدي للباحث، مما يساهم في تحديد المسار الصحيح للبحث العلمي.

في النهاية، يمكن اعتبار الإشكالية العلمية بمثابة هيكل مفاهيمي يتضمن المفاهيم والنظريات والأسئلة والفرضيات التي تساهم في تحليل وتوضيح مشكلة البحث، ويتم تنظيم هذه العناصر في فئتين رئيسيتين: الإطار المفاهيمي ومشكلة البحث.

2. عناصر الإشكالية:

يعتبر تحديد خطة عمل دقيقة لتطوير مشكلة البحث مهمة معقدة ترتبط بتنوع مجالات البحث، تتطلب هذه العملية من الباحث أن يمتلك دقة وتركيزا عاليا، إذ تشكل موقفه تجاه موضوع البحث والطريقة التي يعالجه بها عوامل حاسمة في تحقيق نتائج علمية دقيقة.

في كل دراسة بحثية، يجب على الباحث أن يتناول عناصر أساسية تشمل موضوع البحث، السؤال الأولي (سؤال الانطلاق)، والفرضيات.

وفقا لما ذكره *بيري* (2017)، فإن بناء المشكلة يتمثل في تنظيم العناصر التي ستشكل إطار التساؤل في البحث، لذا يجب على الباحث تحديد هذا الإطار بوضوح.

لتحقيق ذلك، ينبغي عليه تنظيم إشكاليته البحثية وفقا للعناصر التالية: موضوع البحث، سؤال الانطلاق، فرضيات البحث، والهدف الرئيسي من البحث.

أ. موضوع البحث:

يعد تحديد موضوع البحث خطوة لا غنى عنها في صياغة الإشكالية العلمية، حيث يقوم الباحث بتوضيح حدود الظاهرة التي ينوي استكشافها ضمن نطاق محدد وواضح من الضروري أخذ هذا الجانب في الاعتبار عند إعداد الخطة العامة لإشكالية البحث.

ب. سؤال الانطلاق:

يعتبر سؤال الانطلاق أحد أهم عناصر إعداد وصياغة إشكالية البحث، إذ يمثل سؤالا توجيهيا يعكس الجوهر الإشكالي للموضوع قيد الدراسة، يرتبط هذا السؤال بأسئلة ثانوية وينبثق عن تحليل كمية كبيرة من المعلومات التي يجمعها الباحث.

وكما يشير *موريسون* (2018)، تهدف صياغة الإشكالية إلى تسليط الضوء على فجوة معرفية ناتجة عن المشكلة المثارة، حيث يمثل هذا النقص في المعرفة العنصر الذي يميز البحث عن غيره، عند صياغة هذا السؤال البحثي يجب على الباحث أن يظهر إبداعا ويسعى لطرح سؤال واضح ودقيق، حيث أن البحث بأكمله يتمحور حول هذا السؤال.

ج. فرضية البحث:

تعد فرضية البحث جزءا أساسيا من إعداد الإشكالية، حيث تقدم إجابة مبدئية ومؤقتة للسؤال التوجيهي الذي يقود البحث (ما نتوقع أن نعرفه)، يجب أن تكون الفرضية قابلة للاختبار والتأكد منها، سواء بالتأكيد أو النفي، اعتمادا على النتائج التي يتوصل إليها الباحث، ينبغي أن تكون الفرضية متوافقة مع الإطار النظري الذي يعتمد عليه البحث.

د. أهداف البحث:

يعد تحديد هدف البحث خطوة أساسية في ختام صياغة الإشكالية، يسعى الهدف إلى توضيح العناصر الأساسية التي توجه البحث.

يشير *فيليبس* (2019)إلى أن الأهداف هي التزامات يحددها الباحث لنفسه فيما يتعلق بموضوع البحث، وتنبثق هذه الأهداف من مشكلة محددة مسبقا، تعكس الأهداف نوايا الباحث وتوجهاته فيما يتعلق بموضوع البحث.

3. معايير صياغة الإشكالية:

تعد صياغة الإشكالية في البحث العلمي عملية معقدة تتطلب الدقة والاهتمام بالتفاصيل، ومن الممكن تحديد معايير هذه العملية من خلال العناصر التالية:

أ. الدقة والوضوح:

يجب أن تكون الإشكالية واضحة ومحددة بشكل جيد لتفادي أي غموض أو التباس والوضوح في صياغة الإشكالية يسهم في تسهيل فهم المشكلة التي يسعى البحث لحلها من قبل الباحثين والجمهور المستهدف، كما يساعد في تحديد نطاق البحث وتوجيه الجهود البحثية بفعالية (الجوهري، 2016).

ب. القابلية للبحث:

من الضروري أن تكون الإشكالية قابلة للتحليل والبحث باستخدام الأدوات والأساليب المتاحة، يتطلب ذلك أن تكون المشكلة ضمن نطاق إمكانيات الباحث من حيث الوقت والموارد والخبرة، توفر قابلية البحث ميزة أساسية تتمثل في إمكانية الوصول إلى نتائج موثوقة وقابلة للتحقق (عبد اللطيف، 2017، ص. 32).

ج. أهمية الإشكالية علميا وعمليا:

تشكل أهمية المشكلة محورا رئيسيا في صياغة الإشكالية، يجب أن تتمتع المشكلة بأهمية علمية واجتماعية تجعلها جديرة بالبحث والدراسة، حيث تسهم أهمية المشكلة في جذب انتباه الباحثين والمختصين وتبرير الجهود المبذولة في البحث (Anderson, T. J., 2019, p. 11).

د. ارتباط مشكلة البحث بالجانب النظري للموضوع:

ينبغي أن تكون الإشكالية مرتبطة بشكل وثيق بالإطار النظري والمفاهيمي للبحث يتطلب ذلك من الباحث أن يستند إلى نظريات ومفاهيم علمية موثوقة تساعد في توجيه البحث وتفسير نتائجه.(Peterson, L. K., 2020, p. 17)

هـ. قابلية القياس:

من المهم أن تكون الإشكالية قابلة للقياس والتحليل باستخدام الأدوات البحثية المناسبة.، هذا يسهل على الباحث جمع البيانات الضرورية وتحليلها بشكل موضوعي للوصول إلى نتائج دقيقة وموثوقة.

4. أهمية الإشكالية:

تعد الإشكالية البحثية أحد العناصر الأساسية في البحث العلمي، إذ تشكل الأساس الذي يستند إليه الباحث لبناء دراسته، وفيما يلي بعض النقاط التي تبرز أهمية الإشكالية في البحث العلمي:

أ. توجيه البحث:

الإشكالية هي الدليل الأساسي الذي يحدد مسار البحث العلمي، حيث تساعد الباحث على تركيز جهوده على موضوع محدد بدلا من التشتت في مواضيع عامة، هذا التوجيه يمنح البحث تركيزا واضحا، مما يزيد من فرصة الوصول إلى نتائج دقيقة وقابلة للتطبيق.

عندما يكون للباحث فهم واضح للمشكلة التي يسعى إلى حلها، يمكنه تصميم منهجية البحث بفعالية ودقة، وفقا لما أشار إليه سميث ووليامز، "تحديد المشكلة بوضوح هو الخطوة الأولى لضمان نجاح البحث وتحقيق أهدافه بكفاءة (Smith, J. A., & Williams, R. B, 2020, p. 21)".

ب. تحديد الأهداف:

تُساهم الإشكالية في صياغة أهداف البحث بشكل واضح ودقيق، إذ يسمح تحديد مشكلة البحث بوضع أهداف محددة يسعى الباحث إلى تحقيقها من خلال دراسته، هذه الأهداف تعمل كمرشد لتوجيه عملية البحث وتحديد الأسئلة التي يجب الإجابة عليها.

بحسب ما ذكره كارسون(Carson, 2017) ، "الأهداف الواضحة تعزز من قدرة البحث على تحقيق نتائج ملموسة وتضمن أنه يظل مركزا على تحقيق تلك الأهداف" (Carson, D. J., 2017, p. 33).

ج. توضيح أهمية البحث:

تساعد الإشكالية في إبراز أهمية البحث من خلال تحديد الفجوات الموجودة في المعرفة الحالية والتي يسعى البحث إلى سدها، بتحديد مشكلة معينة، يُظهر الباحث أهمية هذه المشكلة والبحث فيها، مما يضفي قيمة علمية واجتماعية أو تطبيقية على البحث.

وفقا لما أشار إليه أندرسون(Anderson, 2019) ، "تحديد الفجوة في المعرفة يبرز دور البحث في تطوير المعرفة وتحقيق تقدم في مجال الدراسة (Anderson, M. K., 2019, p. 19)."

د. تسهيل عملية جمع البيانات:

يساعد تحديد الإشكالية الباحث في اختيار الأساليب والأدوات المناسبة لجمع البيانات المطلوبة للإجابة على أسئلة البحث، فعندما يكون لدى الباحث فهم دقيق للمشكلة، يمكنه تصميم أدوات جمع البيانات بطريقة تتماشى مع طبيعة المشكلة وأهداف البحث.

كما يشير براون(Brown, 2021) ، "تصميم أدوات جمع البيانات يعتمد بشكل كبير على فهم واضح للمشكلة لضمان جمع بيانات دقيقة وموثوقة (Brown, L. M., 2021, p. 45)."

5. مصادر صياغة الإشكالية:

تتعدد المصادر التي يمكن للباحثين الاعتماد عليها في صياغة الإشكالية البحثية وتعتبر هذه المصادر ضرورية لضمان بناء إشكالية مدروسة ومبنية على أسس علمية. فيما يلي بعض المصادر المهمة في صياغة الإشكالية:

أ. البحوث والأدبيات السابقة:

تُعد البحوث الأدبيات السابقة من المصادر الأساسية التي يعتمد عليها الباحث في تحديد الإشكالية، حيث تتيح مراجعة الأبحاث والدراسات السابقة للباحثين فهم الفجوات البحثية والمشكلات التي لم يتم تناولها بعد.

من خلال هذا الاستعراض، يتمكن الباحث من تحديد الاتجاهات الحالية في مجاله وتوجيه بحثه نحو موضوعات تحتاج إلى مزيد من الاستكشاف، مما يوفر إطارا نظريا يساعد في صياغة الإشكالية بما يتماشى مع الأبحاث السابقة.

ووفقا لملر وبيتس(Miller & Bates, 2021) ، "تعتبر مراجعة الأدبيات السابقة أداة حيوية لتحديد الفجوات في المعرفة وتوجيه البحث نحو الإشكاليات المستجدة" (Miller, T. S., & Bates, H. E, 2021, p. 40).

ب. خبرة وتجربة الباحث:

يمكن للباحثين استنباط الإشكالية من خلال ملاحظاتهم الشخصية أو تجاربهم العملية في مجالات معينة، تتيح هذه الطريقة للباحثين التعرف على المشكلات العملية التي تواجههم في سياق عملهم أو حياتهم اليومية، مما يوفر لهم فرصا لتطوير أبحاث تطبيقية تستجيب لهذه المشكلات.

تُعتبر الملاحظة الشخصية مصدرا قيما للإشكاليات البحثية التي تتسم بالأصالة والواقعية، كما أشار غرين(Green, 2022) ، "التجربة الشخصية توفر للباحثين رؤى فريدة حول المشكلات الواقعية التي يمكن أن تشكل أساسا لإشكاليات بحثية ذات مغزى.(Green, L. J., 2022, p. 29) "

ج. أدوات جمع البيانات: (المقابلات والاستبيانات)

تُعدّ المقابلات والاستبيانات أدوات فعّالة لجمع آراء وتصورات الأفراد حول مشكلات معينة، من خلال طرح أسئلة محددة، يمكن للباحثين الكشف عن المشكلات التي يواجهها الأفراد والتي قد تكون غير معروفة أو غير موثقة في الأدبيات السابقة.

هذه الطريقة تساعد في صياغة إشكاليات تعكس الاحتياجات والتحديات الفعلية للمجتمع، وبحسب ما ذكره عبد الرحمن(Abdul Rahman, 2019) ، "البيانات المجمعة من خلال المقابلات والاستبيانات توفر رؤى مباشرة حول المشكلات البحثية المحتملة، مما يساعد في تحديد القضايا ذات الأهمية العملية .(Abdul Rahman, M., 2019, p. 22) "

د. النظريات:

تلعب النظريات العلمية دورا كبيرا في صياغة الإشكالية، حيث توفر إطارا نظريا يمكن من خلاله تفسير الظواهر المختلفة، يمكن للباحثين استخدام هذه النظريات لتحديد الفجوات أو التناقضات التي لم تُفسر بشكل كاف بعد، مما يوفر فرصا للبحث والتحليل.

الربط بين الإشكالية والنظريات العلمية يسهم في تطوير أبحاث تتسم بالعمق والتعقيد النظري، ووفقا لما أشار إليه تيلور(Taylor, 2021) ، "النظريات العلمية تساهم في صياغة إشكاليات بحثية تتسم بالعمق، من خلال تقديم إطار لفهم الفجوات في المعرفة الحالية.(Taylor, P. R., 2021, p. 17) "

هـ. آراء الخبراء:

تعد أراء الخبراء في المجال مصدرا مهما لصياغة الإشكالية، إذ يمكن للباحثين الاستفادة من خبرات وآراء المتخصصين لتحديد المشكلات القائمة والتي تتطلب بحثا علميا.

هذه المشاورات تساعد في توجيه البحث نحو القضايا ذات الأهمية العملية والعلمية الكبيرة، حيث يمكن للخبراء تقديم رؤى قيمة تساعد في صياغة إشكالية بحثية دقيقة ومحددة، كما أشار ويلسون(Wilson, 2022) ، "المشاورات مع الخبراء توفر رؤى متعمقة تساعد في تحديد وتطوير الإشكاليات البحثية التي تتطلب اهتماما علميا كبيرا" (Wilson, A. M., 2022, p. 28).